مطار اللد ، في الغرب ، يرى ولاول مرة كيف ان الصحف الصفراء التي حاولت ان تلصق بالمقاومة الفلسطينية صفات الجبن والنذالة والشر ، لم تجد ميدان الكلام وقفا عليها فقط تصول وتجول فيه كما تشاء وتعبث فيه بعقول الناس كما تريد . ذلك ان صحفا ومجلات كثيرة سواها حاولت من فرط رهبتها واشفاقها على اسرائيل ان تنظر قليلا الى الامام . هذه ، اذ ادانت الهجوم وبكلام قاس ايضا ، فقد حاولت في الوقت نفسه ان تغمز من طرف خفي داعية اسرائيل الى التخلي عن تعنتها وصلفها وغرورها ، والاسهام في المساعي الرامية الى احلال السلام في الشرق الاوسط قبل فوات الوقت . بل ان بعضا منها لم يتردد في الاشارة بصراحة الى أثر العنف والبطش الصهيوني في خلق حالة من اليأس لدى الفلسطينيين تفرض عليهم تصعيد مقاومتهم الى مراتب اعلى من العنف . وفي هذا الدليل القاطع على ان الحادث، وان كان غريبا وداعيا الى التساؤل ، فانه خلف وراءه آثارا ايجابية . ولقد لاحظ كل هذا في حينه ، قراء الصحف الكبيرةالغربية ، مثل الواشنطن بوست والنيويورك تايمز والتربيون والغارديان والتايمز ومجلات كالتايم والنيوزويك .

والواقع ان اصدقاء العرب في الغرب ، بعد سماعهم اخبار مطار اللد والهجوم عليه ، وضعوا أيديهم على قلوبهم . والسبب هو أن الحادث جديد في نوعيته ، اتصف بمرتبة عالية من العنف لم تأخذ بها حركات المقاومة بعد . كان هؤلاء الاصدقاء يعللون ما حدث بأنه خطأ فرضته ظروف آنية خافية . كانوا يقولون لانفسهم ، ان الشبان اليابانيين اغلب الظن كانوا يستهدفون اصلا تدمير عدد من الطيارات على أرض مطار اللد ، او الهجوم على مغرزة عسكرية من حراسه ، او أي شيء من هذا القبيل ، لكنهم فعلوا ما فعلوه تحت ضغط الظروف . فالمنطق يرفض اطلاق النار على ابرياء . وحدث ما خافه هؤلاء الاصدقاء . اذ طلعت الصحف الاستعمارية الصفراء على قرائها بأشنع حملة تشهير بالفلسطينيين ، وبلغة واحدة انظف كلماتها كانت الذبح والبربرية والهمجية والقبح . وكان هؤلاء الاصدقاء يخشون ايضا ان تنقلب موجة العطف على الفلسطينيين التي سادت اوساطا مثقفة كثيرة في السنوات الخمس الاخيرة ، الى موجة معاكسة . غير ان شيئا من هذا لم يحدث . بل ان صحفا كثيرة اخرى كما بينت راحت تشير الى ضرورة العثور بسرعة على حل لقضية الشرق الاوسط وضرورة اسهام اسرائيل في ذلك بموقف جديد ، غير موقف التصلب والتحدي والتوسع . وتفسير ذلك بدون شك ، هو أن الناس الذين كسبهم الاعلام الفلسطيني والعربي في السنوات الماضية ، تم كسبهم بالتثقيف وبالنشر باللغات الاجنبية ، وكذلك بتبادل الوفود الرسمية والشعبية والصحفية . والصحف التي اخذت تدعو اسرائيل الى ضرورة التكيف مع الواقع ، ذلك خوفا عليها ورهبة مما هو قادم . ثم ان غطرسة اسرائيل وصلت حدودا لم يعد يقبل بها الذين يحكمون العقل . فلم يحدث في التاريخ أن بقيت دولة صغيرة سنين طويلة تتحدى كل الدول من حولها ومعظم دول العالم ، بينما كل ما تفعله وتنفذه لا يشير الا الى طريق واحد ، هو طريق الاحتلال والتوسع والغزو .

وهذه بعض الادلة الناطقة الاخرى . في نفس اسبوع الهجوم على مطار اللد ، كانت بعض السفارات العربية في لاهاي ، قد نظمت لبعض رجال الصحافة والتلفزيون الهولنديين رحلة استطلاع لبعض الاقطار العربية يتعرفون خلالها على اوضاع الفلسطينيين . وعاد هؤلاء من رحلتهم والصحف الصفراء غارقة في حمى الهجوم على الفلسطينيين ، وقلنا : الان اما ان يغلق هؤلاء أفواههم ، او يهاجموا الثورة الفلسطينية . الا ان ما صدر عنهم كان مغايرا لكل تلك التوقعات . الريبورتاجات التلفزيونية التي قدموها كانت من امتع وافضل ما قدمه التلفزيون الهولندي عن القضية الفلسطينية . والمقالات التي نشروها كانت عرضا صريحا لمأساة الشعب الفلسطيني بدون رتوش من ناحية وبدون « الغام » من ناحية اخرى . واغرب من ذلك ان وفدا تلفزيونيا اخر عاد في تلك اللحظات من زيارة لاسرائيل واستولى على العارفين اعتقاد بأنه سيقدم مواد معاكسة للاولى . وحتى هذا لم يحدث ، لان ذلك الوفد اكتفى من كل ما جمعه في اسرائيل بقصة النازحين من البدو والفلاحين الفلسطينيين ، وقدم افلاما تصور مأساتهم احسن تصوير ، بكل ما فيها من بطش الجيش الاسرائيلي، وتدمير البيوت بالديناميت والقاء هؤلاء التعساء في اراض صحراوية بعد اخراجهم بالقوة من أراضيهم التي حولوها الىجنان.

الاحلام التي ترعرعت فيالصدور على يد «الكرامة»، واندثرت في ايلول ، وانتعشت من جديد ايام وضع